دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

تراثيات

مجلة علمية محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث

العدد الحادي والعشرون

يناير ٢٠١٧م

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ.د نيقين محمد موسى

تراثيات/مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث بدار الكتب . ـ س ١، ع ١ (يناير ٢٠٠٣).

. ـ القاهرة:

مطبعة دار الكتب ، ٢٠٠٣ - .

مج ؛ ٢٩سم.

نصف سنوية.

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

لايجوز استنساخ أى جزء من هذا العمل بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٣/١٢٢٠٧

تراثيات
مجلة علمية محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث

في هذا العدد

بحوث ودراسات :

- النشر الصوتي للكتب العربية على الإنترنت : دراسة نشرية تحليلية
د. مجدي الجاكي ٩
- اختلاف الروايات الشعرية: تنظيرًا وتطبيقًا
د. عاطف محمد المغاوري ٧٥
- كتب فضائل البلدان المصرية في التراث العربي: نظرات تقويمية
د. حسام أحمد عبدالظاهر ١٠١
- إسهامات الأرمن الحضارية في مصر الفاطمية
د. نورا عبدالعظيم ١٣٧
- علم اللغة وعلاقته بعلم الدبلوماتيك (علم نقد الوثائق)
د. نسمة عيد علي ١٥٥

هيئة التحرير

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. نيڤين محمد موسى
رئيس الإدارة المركزية للمراكز العلمية
د. أشرف قادوس
رئيس التحرير
أ. د. عبدالستار الحلوجي
مدير التحرير
أحمد عبدالستار
مدير التحرير التنفيذى
سهير عبدالعاطي
سكرتير التحرير
د. نورا عبدالعظيم

مستشارو التحرير

إبراهيم شبوح
(تونس)
أحمد شوقي بنبين
(المغرب)
أسامه ناصر النقشبندي
(العراق)
رضوان السيد
(لبنان)
فيصل الحفيان
(سوريا)
يحيى محمود بن جنيد
(السعودية)

دار الكتب والوثائق القومية
المراسلات
مركز تحقيق التراث - دار الكتب والوثائق القومية
كورنيش النيل- رملة بولاق - القاهرة
ت : ٥٧٥١٠٨٦ - فاكس : ٥٧٨٩٦٧٨
E-mail:scenlers@darelkotob.org

مدير المطبعة
محمود يونس سيد

تصدير

بدأ صدور هذه المجلة مع بداية عام ٢٠٠٣م ، وكان مخططًا لها أن تكون نصف سنويَّة ، واستطاعت ـ بفضل الله ـ أن تنتظم في الصدور لبضع سنين ، ثم طرأت ظروف أدت إلى تأخُّر صدور الأعداد عن مواعيدها المقررة . وظلت المسافة بين التاريخ المقرر والتاريخ الفعلي للصدور تتسع شيئًا فشيئًا حتى بلغت ذروتها في الفترة الأخيرة . ونتج عن ذلك أن هذا العدد الذي لن يراه القراء إلا في يناير ٢٠٢٢م ـ على أحسن تقدير ـ يحمل تاريخ يناير ٢٠١٧م .

ولأسبابٍ لا داعي لذكرها قررت أن أستقيل من رئاسة التحرير ، وأن يكون هذا العدد آخر عددٍ يحمل اسميَ كرئيسٍ للتحرير . وأرجو أن يتقبَّل القرَّاء الكرام اعتذاري ، وأن تُوفَّق هيئة دار الكتب والوثائق القومية في اختيار من يستكمل المسيرة .

والله ولي التوفيق ،

عبد الستار الحلوجي

بحوث ودراسات

إسهامات الأرمن الحضارية في مصر الفاطمية

د . نورا عبد العظيم(*)

ـ مجيء الأرمن إلي مصر

تعد الجالية الأرمنية في مصر من أهم الجاليات التي استقرت بها منذ العهود التاريخية الأولى ، فعندما أنشأ عمرو بن العاص الفسطاط كان مساعده ورفيقه في السلاح وردان الرومي ، وكان منه بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير(١) ، وأثناء حكم الدولة الطولونية ضم أحمد بن طولون سوريا إلي مصر ؛ فنشطت العلاقات المتبادلة بين الجاليتين الأرمنيتين في سوريا ومصر ، واستمرت في عهد الدولة الإخشيدية تلك العلاقات .

وكان العصر الفاطمي بمثابة العصر الذهبي للجالية الأرمنية حيث لعب الأرمن دوراً عظيماً في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والعمرانية ، وقد ذكرت المصادر الأرمنية أن عدد الأرمن بلغ نحو ثلاثين ألف أرمني ينتشرون في كافة أنحاء مصر(٢) .

ويهتم هذا البحث بإسهامات الأرمن الحضارية في مصر في العصر الفاطمي ، تلك الدولة التي عَمُرَتْ قرنين من الزمان ، وبزغت شهرتها لتسطع في آفاق العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، فتتسع أملاكها ، وتمتد سيطرتها على كثير من بلدان المغرب والمشرق إلى أن عمت الفوضى والاضطرابات والصراعات بين العناصر والجنسيات المتعددة التي اشتملت عليها هذه الدولة ؛ مما أدى إلى فقدها الكثير من هيبتها ؛ فقد تحولت من دولة في غاية التقدم والرقي إلي دولة يتصارع فيها الجنود من مختلف الجنسيات ليستولوا على ممتلكات خليفتهم الذي فقد سلطته ، وكادت الدولة أن يُقْضَي عليها نتيجة لتلك الأحداث المتلاحقة التي شهدتها زمن الخليفة المستنصر بالله(٣) .

وقد لعب الأرمن دوراً بارزاً أثناء تلك الأحداث ؛ فقد كانوا من أهم العناصر المؤثرة التي شكلت نسيج المجتمع المصري خلال العصر الفاطمي ، وقد تَمَايَزَ الأرمن على غيرهم من الجنسيات الأخرى التي كان لها دورٌ خطيرٌ في تسيير مجريات الأمور أثناء حكم الدولة الفاطمية ، ووصلوا إلي أعلى درجات الحكم والإدارة .

(*) باحث بمركز تحقيق التراث ـ دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(١) تاريخ مدينة دمشق ٦٢ : ٤٣١ ؛ ونبذة تاريخية موجزة عن الجاليات الأرمنية في البلاد العربية ، ص١٣١ .

(٢) نبذة تاريخية موجزة عن الجاليات الأرمنية في البلاد العربية ، ص١٣٢ .

(٣) هو الخليفة الفاطمي أبو تميم ، معد بن الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم أبي على منصور بن العزيز بن المعز العبيدي ٤٢٧ – ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ – ١٠٩٤م) . سير أعلام النبلاء ١٥ : ١٨٦ .

وقد أجمع معظم المؤرخين على أن الوجود الفعلي للأرمن يأتي مع قدوم بدر الجمالي[١] إلى مصر عام ٤٦٦هـ / ١٠٧٤م عندما استدعاه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله من بلاد الشام ، حيث إنه كان واليًا على عكا آنذاك ؛ لإنقاذ البلاد من الفوضى العارمة التي أحدثتها عناصر الجند المتصارعة زمن الشدة المستنصرية[٢] .

ومنذ ذلك الحين بدأ الوجود الأرمني يأخذ صورة واضحة داخل المجتمع المصري ، كما زادت أعداد المهاجرين من الأرمن ، وقَوِيَ نفوذهم وسيطرتهم داخل البلاد ، وأصبحوا يمثلون طائفة متميزة تحتل قمة المجتمع الفاطمي في ذلك الوقت ـ لاسيما ـ وأن أول أعمال بدر الجمالي بعد قدومه كانت متمثلة في الهيمنة على مجريات الأمور ، وتمكين أهل جِلْدَتِهِ الأرمن من شئون البلاد ، فأحلهم محل العنصر التركي في الكثير من شئون البلاد .

وإذا كان هذا قد حدث في زمن بدر ، فإن الوجود الأرمني قد بلغ مداه في عهد الوزير بَهْرَامَ الأرمني عام ٥٢٩هـ / ١١٣٥م الذي استكثر من الأرمن ، وخصوصًا أهل الذمة ؛ فاستخدمهم في جميع مرافق الدولة ، واستقدم أعدادًا كثيرة من تل باشر مسقط رأسه[٣] ، وقد تزايدت أعدادهم زمن الوزير طلائع بن رُزِّيك[٤] فى عام ٥٤٩هـ / ١١٥٥م الذي استقدم أهله وأقاربه أيضًا ؛ فاستقر معظم هؤلاء بمصر ، وتولوا المناصب الكبرى ، وبرز منهم شخصيات عظيمة تركت بصمات واضحة في السياسة والإدارة في الدولة الفاطمية ؛فيذكر أنه أتى وفي مَعِيَّته ابنه رُزِّيك الذي تولى الوزارة بعده[٥] .

والحقيقة أنه منذ اليوم الأول لقدوم الأرمن إلي مصر في معية بدر الجمالي وهم يشكِّلون طبقة متميزة ؛ حيث اهتم بأحوالهم ؛ فَاقْتَطَعَ لهم الكثير من الضياع و الإقطاعات ، وزادت تلك الإقطاعات زمن بَهْرَامَ الأرمني .

وبالنسبة لأهل الذمة فقد تمتعوا بمكانة مرموقة ؛ خاصة أن الكثير من الأرمن الوافدين لم يدخلوا الإسلام وبقوا علي ديانتهم ؛ فأقيمت لهم الكنائس وشملتهم عناية بدر الجمالي ، فمنذ

---

(١) هو الأمير بدر الدين بن عبد الله الجمالي ، كان مملوكًا أرمنيا ، ولي إمارة دمشق من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ، ثم ولاه الوزارة بمصر سنة ٤٦٦هـ إلى أن توفي سنة ٤٨٧هـ . المقفى الكبير ٢ : ٣٩٤ .

(٢) عن أسباب هذه الشدة ، راجع : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٣ ، وأخبار الدول المنقطعة ، ص ٧٤ – ٧٥ ، واتعاظ الحنفا ٢ : ٢٧٣-٢٧٦ .

(٣) المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٢٤ ، والدولة الفاطمية ، ص٢٦٠ – ٢٦١ .

(٤) هو أبو الغارات ، طلائع بن رزيك الأرمني الشيعي وزير الديار المصرية الملقب بالملك الصالح ، ولد بإحدى مدن أرمنيا عام ٤٩٥هـ / ١١٠١م ، وولي الوزارة بمصر سنة ٥٤٩هـ إلى أن قتل سنة ٥٥٦هـ . وفيات الأعيان ٢ : ٥٢٦ – ٥٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠ : ٣٩٧ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٥١٤ ؛ والوافي بالوفيات ١٦ : ٥٥ ؛ والمواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ٢ : ٢٠٣ .

اليوم الأول لقدومهم خصص لهم كنيسة أطلق عليها كنيسة ماري جرجس ، وعين لها بطريركًا عرف باسم أغريغوريوس ، وكانت له مكانة مميزة بمصر ، فاستقبله الخليفة المستنصر بمظاهر الحفاوة والإكرام عند قدومه عام ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م[١] .

وقد تعددت الكنائس والأديرة بعد ذلك ، وكثر قدوم الأرمن إلي مصر ، وكانوا محل احترام الخلفاء الفاطميين ؛ فَيُذْكَرُ أن الخليفة الحافظ لدين الله[٢] كان علي صلة وثيقة بالبطريرك الأرمني ، وكان يدعوه إلي قصره يومي : الإثنين ، والخميس ؛ ليروي له ما قرأه في السير والملاحم والتواريخ ، وأخبار الملوك ، كما كان يدعوه أيضًا لحضور الاحتفالات الرسمية ، ومنحه العطايا والمنح الكثيرة .

ومثلت وزارة بَهْرَام الأرمني العصر الذهبي للأرمن ، ذلك أن عدد الكنائس تضاعف عن ذي قبل ؛ حيث كان لكل رئيس من الأرمن كنيسة بجوار بيته[٣] .

٢ ـ إسهامات الأرمن الحضارية

كان للأرمن إسهامات واضحة من الناحية الحضارية زمن الدولة الفاطمية في مختلف المجالات :

فمن الناحية الإدارية

وُلِّيَ بدر الجمالي الوزارة الفاطمية لأكثر من عشرين عامًا ؛ فقد قَلّده المستنصر الوزارة ، ومنحه لقب (السّيّد الأجل أمير الجيوش) ، وجاء في سِجلّه : «وقد قَلّدَك أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره ، وناط بك النظر في كل ما وراء سريره ، فباشر قَلَدَك أميُر المؤمنين من ذلك مدبّرًا للبلاد ، مُصْلِحًا للفساد مدمرًا أهل العناد»[٤] فمنذ قدومه من الشام عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م استوثقت صلاته بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله ؛ خاصة بعدما تمكن من القضاء علي فتنة الجند المتصارعة زمن الشدة المستنصرية ، ثم عمل على إعادة تنظيم شئون البلاد الإدارية ؛ فقسم مصر إلى أربع ولايات كبرى ، جعل على كل منها واليًا ، وهي ولاية : قوص ، والشرقية ، والغربية ، والإسكندرية[٥] . وكانت ولاية قوص أهم هذه الولايات وأعظمها ؛ فكان متوليها يحكم جميع بلاد الصعيد ، وتلي رتبته الوزير في الأهمية . ومن الطريف أن بعض وزراء الخلفاء في أواخر الدولة الفاطمية كان معظمهم من ولاة قوص[٦] .

(١) نبذة تاريخية موجزة عن الجاليات الأرمنية ، ص١٣٧ .
(٢) هو الخليفة الفاطمي أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير محمد بن المستنصر بالله معد بن الظاهر على بن الحاكم بن العزيز ابن المعز العبيدي الإسماعيلي المصري (٥٢٥-٥٤٤هـ/ ١١٣٠-١١٤٩م) . سير أعلام النبلاء ١٥ : ١٩٩ .
(٣) المنتقى من أخبار مصر ، ص١٢٤ .
(٤) الدولة الفاطمية في مصر ، ص٢١٠ - ٢١١ .
(٥) صبح الأعشى ٣ : ٤٩٣ - ٤٩٤ .
(٦) نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ١ : ١٣٢ - ١٣٣ .

ويتضح من ذلك أن الوزارة تحولت إلى سلطة استبدادية منذ عهد المستنصر ، فكان بدر (وزير السيف والقلم) وبه بدأ استبداد وزراء السيوف ؛ فتحولت وزارة السيف إلى وزارة تفويض ، فكان الخليفة يفوض إليه جميع أمور الدولة لتصريفها ، ولم يعد له أية سلطة على أي شيء ، فأصبح بدر الجمالي رئيس الدولة الفعلي ؛ فكل الأمور مردودة إليه ؛ فهو صاحب الحل والعقد في سائر الأمور ، وله أن يولي كبار موظفي الدولة ، فهو وزير ذو سلطة مطلقة(١) .

ومن أهم أعمال بدر الجمالي الإدارية اهتمامه بإعادة بناء الجيش الفاطمي من جديد ، فأصبح هو قائده الأعلى والمتصرف في شئونه ، وجعل جُلَّ جيشه من الأرمن أهل جِلْدَتِه ؛ حتي يضمن ولاءهم له .

وإلى جانب جند الأرمن اعتمد بدر أيضًا على طائفة من الجند المصريين كانت مستخدمة في الجيش الفاطمي ؛ ولكنها أُهْمِلَتْ بسبب صراع الجند قبل قدومه ، هذا إلى جانب تكوينه فرقة جديدة في جيشه عُرِفت بالجيوشية ، وقد استخدم بدر هذا الجيش في إعادة هيبة الخلافة في مناطق كثيرة من ممتلكات الدولة الفاطمية ، وفي محاربة أعداء الوطن وإعادة النظام داخل البلاد وخارجها .

كذلك اهتم بالدواوين ، ورتب المستخدمين ، وقرر أعمال الرجال ، الأمر الذي أدى إلي إصلاح أحوال البلاد .

ومن أهم أعمال بَدْر الإدارية أنه جعل ولده الأفْضل أبا القاسم شَاهِنْشاه وليًا لعهده عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م عندما خرج لتأديب ابنه الأكبر الأوحد الذي خرج عليه بالإسكندرية ، فلما توفي أمير الجُيوش بَدْر في عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م وُلِّيَ الأفْضَل الوزارة مكانه ؛ وكان يقوم بأمرها مدة ضعف أبيه ، ومُنِح له ما كان لأبيه من مهام وألقاب ، وكذلك مُنِح الخُلَعَ الخاصة بالوزارة ودُعِي له على المنابر بعد الخليفة في أيام الجمع والأعياد ، ولُقِبَ بـ : السَّيِّد الأجَلّ الأفْضَل أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، جلال الإسلام ، شرف الأنام ، ناصر الدين ، خليل أمير المؤمنين ، أبو القاسم شَاهِنْشاه(٢) .

نَهَجَ الأفْضَل شاهنشّاه نفس سياسة أبيه ؛ فاستبد بالمستنصر ، وحجر عليه بدرجة تفوق ما كانت لأبيه عليه ، غير أن المستنصر لم يَعِشْ سوي ثمانية أشهر بعد تولي الأفْضَل ؛ بل وصل به الأمر إلي أكثر من ذلك ؛ فقد تدخل بصورة سافرة في تعيين ولي العهد ضارباً بما تنص عليه العقيدة

(١) اتعاظ الحنفا ٢ : ٣٣٤ ؛ ونظم الفاطميين ورسومهم في مصر ١ : ٨٢ – ٨٣ .

(٢) الإشارة لمن نال الوزارة ، ص ٥٧ – ٥٨ ؛ ونزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص ٢٩ ؛ والمنتقى من أخبار مصر ، ص٤٧ ؛ واتعاظ الحنفا ٢ : ٣٢٩ – ٣٣٢ .

الإسماعيلية[١] عرض الحائط ؛ تلك العقيدة التي تنص على انتقال الإمامة من الأب إلي الابن الأكبر ؛ لذا كان من المفروض أن يتولي الخلافة بعد موت المستنصر ابنه الأكبر نزار ؛ إلا أن الأفضل لخلافات بينه وبين نزار لم يهتم بمبادئ العقيدة الإسماعيلية وما تنص عليه ؛ فأخذ البيعة لأخيه الأصغر أبو القاسم أحمد بن المستنصر ، ولقَّبه بالمستعلي بالله[٢] .

ومما سبق يتضح مدى استبداد الأفضل بالخلافة ؛ فأصبح هو المتحكم في أمر الخليفة والآمر الناهي ، والمسيطر على كافة شئون الدولة .

واعترف الخليفة الجديد بجميل الأفْضَل عليه ، وأنه صاحب الفضل في وصوله لكرسي الخلافة ؛ فأنعم عليه بالهدايا والخلع الكثيرة وزاد من استبداد الأفضل بالسلطة أن ارتبط بالخليفة بِرِبَاطِ المصاهرة حيث تزوج المستعلي من أخته[٣] وظل الأفضل متفرداً بالسلطة حتى بعد موت المستعلي بالله في عام ٤٩٥هـ/ ١١٠١م ، فولى ابنًا صغيرًا له يُدعي أبا علي ، ولقبه بـ : الآمر بأحكام الله ، وأخرج سجلًا بتوليه الخلافة واستمرت الأمور على هذا الوضع إلى أن بلغ الآمر سن الشباب ؛ فبدأ بالتذمر من هذا الوضع فتآمر على قتل الأفضل ، فقُتِل في عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م بعد أن حكم ثمانية وعشرين عامًا ونصف[٤] .

ومن أهم أعمال الأفضل الإدارية على وجه الإطلاق نقله الدواوين من القصر إلى دَارُ المُلْك التي أنشأها في الفسطاط عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م ، ونقل إليها مقاليد الوزارة عام ٥٠١هـ/ ١١٠٧م بعد أن كانت القاهرة المعزية مقراً للخلافة ، ومركزًا للخلفاء وقصورهم ، ونقل إليها أيضًا الجهاز الإداري والمالي للدولة متمثلاً في دواوين الدولة ، بل الأكثر من ذلك أنه جعل ديوان الإنشاء والمكاتبات بجوار قاعة الملك التي اتخذها لمجلسه وسماها : مَجْلِس العَطايا ، وتولاه ابن الأُسْقُف[٥] ، وتلك الخطوة إن دلت على شيء ؛ فإنما تدل على مدى قوة ونفوذ وسيطرة الأفضل على كافة مقاليد الحكم داخل الدولة .

---

(١) تنسب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ، وظلت هذه التسمية قائمة ومعترفًا بها حتى بدء قيام الدولة الفاطمية على يد عبيد الله المهدي في المغرب ، في هذا الوقت حلت التسمية الجديدة (الفاطمية) محل الاسم القديم (الإسماعيلية) . لمزيد من التفصيل ، راجع : تاريخ الإسماعيلية ، ج ١ ، ص ١٤٩ .

Abbas Hamdani, The Fatimids 1962, P.37, W. Montgomery Watt, The Islamic World, 661-1100, London PP. 172-173).

(٢) المنتقى من أخبار مصر ، ص ٥٩ – ٦٠ ؛ واتعاظ الحنفا ٣ : ١١ .

(٣) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص ٥ ؛ والمنتقى من أخبار مصر ، ص٧٠ .

(٤) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص٧ ؛ والمنتقى من أخبار مصر ، ص٧٩ .

(٥) نصوص من أخبار مصر ، ص٢ ؛ ونزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص١٦٧ ؛ والمنتقى من أخبار مصر ، ص٧٦ ؛ واتعاظ الحنفا ٣ : ٣٧ .

ومن أعماله المهمة أيضًا تجديد ديوان التحقيق في عام ٥٠١هـ/ ١١٠٧م ، وهو يعتبر من الدواوين المهمة في الإدارة المالية ، حيث يتم عن طريقه متابعة ومراقبة جميع الدواوين الأخرى ، والإشراف على تنظيم المصروفات الخاصة بالدولة ، وتولاه أبو البركات يوحنا بن أبي اللّيْث النّصراني[١] .

ومن الشخصيات الأرمنية التي أثرت في الدولة الفاطمية وتولت الوزارة حفيد أمير الجيوش بدر الجمالي ، أبو عليَ ، أحمد بن الأفْضَل شَاهنّشاه ، الملقب بـ : كُتيْفَات في عام ٥٢٤هـ/ ١١٢٥م ، ولَّاه الوزارة الخليفة الحافظ[٢] وسط إلحاح وسرور من الجند الذين اشتد طلبهم على الخليفة في هذا الأمر ؛ عرفانًا بجميل الأسرة الجمالية التي تركت بصمات واضحة داخل الدولة الفاطمية ؛ حيث إنهم قاموا بثورة عارمة حين اتجهت الأنظار لتولية الوزارة لغيره ، ولُقِّبَ مثل والده بـ : الأفضل ، ثم ركب إلى دار الملك التي أنْشأها أبُوهُ الأفْضَل[٣] واختار لنفسه دعاءً يدعى له به على المنبر ، وهو : (السيد الأجل الأفضل مالك أصحاب الدول والمُحَامي عن حَوْزة الدين ، ونَاشِر جَنَاح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين ، ناصر إمام الحق في حَالَتَي غَيْبته وحضوره ، والقائم بنُصْرته بِمَاضِي سيْفه وصَائب رأيْه وتدبيره ، أمين الله على عباده ، وهادي القُضَاة إلى إتباع شَرع الحق واعتماده ، ومُرْشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده ، مُولِّي النعم ورافع الجور عن الأمم ، مالك فضيلتي السيف والقلم ، أبو علي أحمد ابن السيد الأجلّ الأفضل شَاهنّشاه أمير الجيوش)[٤] .

وكانت أول أعماله بعد ولاية الوزارة أن حجر على الخليفة الحافظ ، فسجنه وانفرد بالسلطة دونه ، حيث إنه أراد الانتقام من الخلافة الفاطمية في شخصه ؛ بسبب شعوره بما كان للخليفة الآمر من دور في قتل والده ، فأسقط اسم الخليفة من الخطبة ، ودعا لنفسه بدعاء خاص ، ومحا من الأذان عبارة (حيِّ عَلى خَيْر العَمَل) و(محمد وعلي خير البشر) ودعا للإمام المنتظر(الاثنا عشر) ، كذلك ضرب دَراهِمَ باسمه دون الدَّنانير ، ونَقَشَ عليها (الله الصَّمَد الإمامُ مُحَمّد) ، ولم يكن في الخلفاء بالديار المصرية من اسمه (محمد)[٥] .

ومن أعمال أبي علي الأفضل المهمة أيضًا أنه اختار أربعة قضاة يحْكُم كل قاض بمذْهَبه ، ويورّث بمذهبه ، فاختار للشافعية الفقيه سُلْطان ، وللمالكية اللّبني ، وللإسماعيلية أبا الفضل بن الأزرق ، وقاضي الأمامية ابن أبي كامل[٦] .

---

(١) نصوص من أخبار مصر ، ص ٩ ؛ والمنتقى من أخبار مصر ، ص ٧٧ ؛ واتعاظ الحنفا ٣ : ٣٩ .

(٢) هو الخليفة الفاطمي أبو الميمون ، عبد المجيد بن الأمير محمد بن المستنصر بالله معد بن الظاهر علي بن الحاكم بن العزيز ابن المعز العبيدي الإسماعيلي المصري (٥٢٥-٥٤٤هـ/ ١١٣٠-١١٤٩م) . سير أعلام النبلاء ١٥ : ١٩٩ .

(٣) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٤) المنتقى من أخبار مصر ، ص ١١٦ ؛ والدولة الفاطمية في مصر ، ص٢٤٥ .

(٥) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص ٣٠-٣٢ ؛ المنتقى من أخبار مصر ، ص ١١٦ ؛ كنز الدرر وجامع الغرر ٦ : ٦٠٥ .

(٦) المنتقى من أخبار مصر ، ص ١١٤ - ١١٥ .

كذلك وُلِّيَ الوزارة من الأرمن أبو الفَتْح يَانِسُ ، وكان يلقب بالأمير السّعيد ، وكان له دورٌ عظيمٌ في الحفاظ على هيبة الخـــليفة الفاطمي ، وعلى المذهب الإسماعيلي ، وكان قد هاله ما كان يحدث من الوزير أبي علي أحمد بن الأفضل تجاه المذهب الإسماعيلي ، والحجر على الخليفة الحافظ ، والتصرف في شئون الخلافة ، فقرر إنهاء هذا الوضع الشاذ وإعادة الأمور إلي نصابها ؛ فقرر القضاء على أبي علي الأفضل بمساعدة غلمان الخليفة ، فقتلوه ثم فكوا أسر الحافظ من سجنه ، وبايعوه على أنه"ولي كفيل لمن يذكر اسمه «فاتخذ الخليفة الحافظ من ذلك اليوم عيداً أسماه عيد النصر ، وظل يحتفل به حتي نهاية الدولة الفاطمية ، فكافأه الخليفة على هذا بمنصب الوزارة في عام ٥٢٦هـ/ ١١٣١م ، ولقبه"أمير الجُيُوش سَيْف الإسْلام»[١] .

ومن أعمال يانسَ المهمة أنه حافظ على القوانين رغم قصر مدة وزارته التي دامت تسعة أشهر وبضعة أيام ، وفي بداية وزارته كان على وفاق مع الخليفة ، ولكن بعد فترة توترت العلاقة بينهما بسبب انفراد يانس بأمور الدولة دون الخليفة ؛ خاصة بعد ما أخذ يتعامل مع رجال القصر بطريقة مهينة ، بل إنه قبض على قاضي القضاة ، وداعي الدعاة وقتلهما ؛ الأمر الذي أدي إلى غضب الخليفة عليه وقتله بأن دس السم له[٢] .

ومن الشخصيات الأرمنية المهمة التي كان لها تأثيرٌ في الدولة الفاطمية الوزير بَهْرَامَ الأرمني ، وهو أول مسيحي يتولى وزارة التفويض في عام ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م ولُقِّب بعدة ألقاب ، منها «سيف الإسلام تاج الملوك» ، «تاج المملكة ونظامها» ، «فخر الأمراء» ، «شيخ الدولة وعمادها ذو المجدين» ، «مصطفى أمير المؤمنين بهرام الحافظي» ، وكان من قبل ذلك قد تدرج في المناصب الإدارية في الدولة ، وكان أيضًا واليًا على الغربية .

وقد رفض توليته العديد من رجال الدولة والفقهاء ، حيث جرت العادة منذ الوزير بدر الجمالي أن يكون الوزير مسلمًا ؛ فهو يرقى المنبر مع الإمام ، كذلك القُضَاة كانوا نُوَّابَ الوُزَراء ، ويذكُرون النِّيابَة عنهم في الكُتُب الحِكَميّة ؛ ولكن الخليفة الحافظ لم يلتفت إلي تلك الأمور ، وكان رده على من اعترض : «إذا رَضَيْناه فمن يُخالفُنا ، وهو وَزِير السَّيف ، وأمّا صُعُودُ المْنبر فيَسْتَنيبُ عنه قاضي القضاة ، وأمّا ذِكْرُه في الكُتُب الحِكَميّة فلا حاجَة إلي ذلك ، ويَفْعَلُ ما كان يُفْعَل قبل أميرُ الجُيوش»[٣] .

(١) المنتقى من أخبار مصر ، ص ١١٧-١١٨ ؛ وكنز الدرر وجامع الغرر ٦ : ٦٠٥ .

(٢) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص ٣٥-٣٦ ؛ والمواعظ والاعتبار ٣ : ٤٩ .

(٣) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص ٣٤ ؛ المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٢٢-١٢٣ ؛ وكنز الدرر وجامع الغرر ٦ : ٥٠٦ .

عمل بهرام منذ توليه على الاستكثار من الجند الأرمن ، وولَّاهم أهم المناصب الإدارية في الدولة ، وأطلق أيديهم في كل شيء ، وبدؤوا يكثرون من بناء الكنائس ، والأديرة حتى صار كل رئيس منهم يبني له كنيسة .

ومن أعماله أيضًا أنه عين نصرانيًا ليتولى ديوان التحقيق في أواخر عام ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م ، وأجلسه بموضع أفرد له داخل قاعة الذهب بقصر الخلافة ، واستخدم اثني عشر كاتبًا من النصارى ، وكاتبين من المسلمين ، هما : القاضي الخطير بن البواب ، والقاضي المرتضي بن الطرابلسي ، كذلك وَلَّيْ أخاه الباساك ولاية قوص وهي يومئذ أعظم ولايات مصر ، فاستقوى بأخيه ، وتمادى في ظُلْم المسلمين ومصادرة أموالهم[١] .

ومن شخصيات الأرمن البارزة التي كان لها تأثير في مجريات الأحداث في العصر الفاطمي الصالح طَلائعُ بن رُزِّيك ، كان من جملة خدم القصر الفاطمي ، ثم تدرَّج في المناصب الإدارية ، فولي ولاية البحيرة والأشمونيين والأسيوطية ومنية بني خصيب ، وجمع بين ولاية قوص وأسوان في عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م ، إلى أن وصل لكرسي الوزارة عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م في خلافة الفائز[٢] واتَّسم بالقوة والتحكم في مجريات الأمور دون منافس ، فتتبع كبار رجال الدولة والأمراء ، وصادر أموالهم حتى يُضْعِفَ من شأنهم ، واضطر البعض إلي مغادرة البلاد خوفًا من بطشه[٣] .

وأحاط نفسه بفرقة خاصة أتى بهم من بَرْقَةُ وَعُرِفُوا بالبرقية ، وجعل على رأسهم الأمير ضرغام[٤] الذي وُلِّيَ الوزارة فيما بعد بمساعدة تلك الفرقة ، وجاء في سجل ولايته الوزارة «قلّدَك أميُر المؤمنين النّظَرَ في المَظالِم وإنْصاف المَظْلوم من الظّالِم»[٥] .

واسْتَنَّ سنة جديدة ، فقد أخذ في بيع الولايات بأسْعارٍ مُقَرّرة ، وجعل مدة كل مُتَوَلّ ستة أشهر فقط ؛ خوفًا من أن يثوروا عليه وينازعوه الوزارة ؛ مما يعنيٍ أن هذه الضريبة تدفع مرتين في السنة ؛ فتضَرَرَ النّاسُ من كثرة تَرَدُّد الوُلاة على البلاد ، وتَعِبوا من ذلك .

(١) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص ٤٤ ؛ والمنتقى من أخبار مصر ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(٢) هو الخليفة الفاطمي أبو القاسم ، عيسى بن الظافر إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله العبيدي (٥٤٩ – ٥٥٥هـ/ ١١٥٤ – ١١٦٠م) . سير أعلام النبلاء ١٥ : ١٠٥ .

(٣) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص٧٠ – ٧٣ ؛ المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٤٩ – ١٥١ .

(٤) هو أبو الأشبال ، ضرغام بن عامر بن سوار المنذري ، مقدم الأمراء البرقية وصاحب الباب (وهى رتبة تلي الوزارة مباشرة) ، ولي الوزارة في صفر سنة ٥٥٨هـ حتى قتل سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م . الوافي بالوفيات ١٦ : ٢١١ .

(٥) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص ٩٠ .

ومن أكبر الدلائل على مدى قوة ونفوذ الصالح طلائع أنه ادَّعي بعد موت الفائز أنه عهد بالخلافة إلي ابن أخيه العاضد لدين الله[١] فَوُلِّيَ عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م وعمره إحدى عشرة سنة ، فأصبح الخليفة تحت سيطرته التامة ، وأصبح الصالح الآمر الناهي داخل الدولة ، وبلغ به تطلعه بأن جعل الخلافة في عَقِبَهِ ؛ فزوَّج العاضد إحدى بناته على أمل أن ترزق منه ولدًا فيجمع بين الوزارة والخلافة[٢] .

ولَّما قُتل الصالح طلائع وخلفه ابنه رُزَيّك الذي أوصى إليه بتولي الوزارة ؛ فولي في عام ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م ، ولُقب بالملك الناصر العادل[٣] ،وارتفع في عهده شأن الأرمن ، فتولوا الكثير من المناصب في الحكم والإدارة . وبرزت شخصيات أرمنية لعبت أدوارًا مهمة في تسيير أمور الدولة ؛ بل إن بعض تلك الشخصيات كانت سببًا أساسيًا في زوال حكم أسرة بني رُزيّك بمصر ، ومن تلك الشخصيات صهره الأمير عز الدين حسام الذي ولي منية بني خصيب .

ومن الناحية الاقتصادية : اهتم بدر الجمالي بالشئون الزراعية ؛ فأطلق الخراج للمزارعين ثلاث سنوات ؛ حتي تتحسن أحوالهم بعد أن انهارت زمن الشدة المستنصرية ، كما اهتم أيضًا بطرق التجارة التي تمر بالبلاد ؛ فأمَّنها بصورة جيدة ، وبهذا بدأت البلاد تشعر بالانتعاش الاقتصادي أثناء ولايته الوزارة ؛ فعاش هو وأهله من الأرمن حياة مُتْرَفَةً[٤] .

وقد اهتم الأفضل بن بدر الجمالي بمشروعات الري ، فأمر بإعادة حفر خليج أمير المؤمنين عام ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م[٥] ، وكذلك حفر في عام ٥٠٦هـ/ ١١١٢م الخليج المعروف بخليج أبي المنجا بناءً علي نصيحة أبي المنجا بن سليمان بن سهل اليهودي الذي كان مشرفًا على البلاد الشرقية التابعة لديوان الخليفة ، حيث لاحظ أن المياه كانت لا تصل إلى الشرقية إلا من بعض المواضع البعيدة ؛ مما كان يعرض الأرض للتصحر ، فطلب المزارعون فتح ترعة ليصل الماء منها في ابتداء الفيضان إليهم[٦] .

---

(١) هو الخليفة الفاطمي أبو محمد ، عبد الله بن يوسف ابن الخليفة الحافظ بالله عبد المجيد ابن الأمير محمد ابن الخليفة المستنصر بالله معد بن الظاهر بالله علي بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله الفاطمي العبيدي (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م) . أخبار الدول المنقطعة ، ص١١١ .

(٢) الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٣) الوافي بالوفيات ١٤ : ٨٠ ؛ اتعاظ الحنفا ٣ : ٢٤٦ - ٢٥٣ .

(٤) نبذة تاريخية موجزة عن الجاليات الأرمنية ، ص١٣٦ .

(٥) اتعاظ الحنفا ٣ : ٤٣ .

(٦) نصوص من أخبار مصر ، ص١١ .

ومن أعمال الأفضل المهمة في الحياة الاقتصادية أنه عرف المواريث الحشرية ؛ فذكر عنه ابن ميسر أنه أوّل من أفرد المواريث ومَنَع من أخْذ شئ من التركات على العادة القديمة ، وأمر بحفظها لأربَابها ، فإذا حَضَر من يَطْلُبْها وطالَعه القاضي بثبوت استحقاقها أطْلقَها في الحال ، وكانت هذه من حسنَاته التي تَفرّد بها دون مَن تقدّمه ، وكان عهده عهد رخاء ؛ فقد زادت فيه إيرادات الدولة زيادة بالغة ، وقد كان متشدداً مع رجال الدولة ، يحاسبهم إذا أخطأوا و يكافئهم إذا أحسنوا ، وعُرِف عنه حسن السيرة وشدة العدل والتسامح مع الرعية والتجار ؛ فلم تُصَادَرْ في عهده أموال[١] .

كما أنه أعاد توزيع الإقطاعات على الجنود والأمراء الجدد ، وزاد مدة الإقطاعات في أيدي أصحابها ، فأصبحت ثلاثين عامًا لا يقبل عليها زيادة بعد أن كانت أربع سنوات فقط ، وبذلك جعل المقطع يشعر بالاستقرار والأمان[٢] .

واهتم الأفضل اهتمامًا بالغًا بالزراعة ، ففي عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م أنشأ البساتين ومنها بسْتَان البَعْل والمنتزه المعروف بالتّاج ، والبستان الكبير ببُولاق ، والبساتين الخاصة بقليوب ، كما أنه جَدّد بستان الأمير تميم ببركة الحبش ، كذلك أنشأ الروضة بحري الجزيرة ، ومن أهم أعماله أيضًا : إنشاء قناطِر الجَرّاة ؛ لِتُوْصِلَ المياه إلي مسجد الصالح الإطفيحي[٣] .

ومن أهم أعمال أبى علي الأفضل في الناحية الاقتصادية : اشتهر بالعدل فسار علي نهج أبيه ، فأظهر العدل الكثير علي الرعية فرَدَّ على الناس ما فضل من مال بيت المال ، ومال المصادرة ، ووزع الأملاك على أصحابها ، وعمل على تفريق الغلال على الناس على سبيل الإنعام[٤] .

ومن أعمال الصالح طلائع في الناحية الاقتصادية : أنه عمل على احتكار الغلات الزراعية ؛ فغلت أسعارُها ؛ مما أدى إلي إضعاف اقتصاد الدولة ، ولكنه بالرغم من ذلك كان حسن التدبير ، ففي عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م عندما اشتدت أزمة الغلاء بالبلاد نتيجة لقصور نهر النيل الذي بلغ خمس عشرة ذراعًا ؛ مما أدى إلى اضطراب الأحوال الاقتصادية ، وارتفاع أسعار الحاصلات الزراعية ؛ فبلغ سعر إردب القمح خمسة دنانير ؛ وتمكن الصالح طلائع من القضاء علي هذه الأزمة بسهولة ويسر ؛ وذلك بالاستعانة بالمخزون الاحتياطي الموجود في المخازن السلطانية ؛ بل وتتبع المخالفين ، وأعطى الطحانين حصصًا من القمح مُدْعَمَةً حتى يقضي على احتكار التجار للقمح ، وصادر مخازن الغلال الخاصة بهم ، وفرقها على الفقراء والمحتاجين ، ولم يمضِ وقت طويل حتى تم القضاء على تلك الأزمة[٥] .

(١) المنتقي من أخبار مصر ، ص٨٣ .
(٢) نصوص من أخبار مصر ، ص١٠ .
(٣) المنتقي من أخبار مصر ، ص ٨٧ ؛ والمواعظ والاعتبار ٤ : ٨٧١ .
(٤) نصوص من أخبار مصر ، ص ١٠٥ ؛ ونزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص٣٠ ؛ والمنتقي من أخبار مصر ، ص١١٧ .
(٥) إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٢٧ – ٢٨ ؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥ : ٣٣٩ .

وقد تميز عهد العادل رزيك بن طلائع بالاستقرار الاقتصادي ؛ حيث إنه أسقط من رسوم الظلم مبالغ كثيرة ، كما أنه تحمل عن الحجاج الضريبة التي كانوا يؤدونها إلى أمير مكة فأرسل الأموال إلى أمير الحرمين[١] .

ومن الناحية الثقافية

اهتم الوزير بدر الجمالي أيضًا بشئون المذهب الإسماعيلي ؛ حيث أعاد الاهتمام بالشعائر الشيعية التي ضعف الاهتمام بها نتيجة لضعف الخليفة وإهمال الوزراء ؛ فأمر بإعادة الأذان الشيعي بحي على خير العمل ، ودعا إلي العودة إلى التكبير على الجنائز ، وَنَظَّمَ دروس الدعوة . وقد كان بدر محبًا للعلوم والآداب فبرز في عهده عدد من الشعراء ، منهم : علقمة الشاعر الذي أنشده[٢] :

نحن التجار وهذه أعلاقنا ... دُرٌّ وجودُ يُهْنِك المبتاعُ
قلِّبْ وفتّش بسمعك إنما ... هى جوهرٌ تختاره الأسماعُ
وسبقت هذى الناس في طلب العلا ... فالناسُ تَعْدكَ كلهم أتباعُ
يا بدرُ أقسمُ لو بك اعتصم الورى ... ولجوا إليك جميعهم ما ضاعوا

وقد كان الوزير الأفضل مولعًا بالعلوم والآداب ؛ فاهتم بالمجالس العلمية وأجزل العطايا والهبات للعلماء والأدباء ؛ فذُكِر عنه أنه ما سمع على أحد من الوراقين يبيع كتبًا إلا اشتراها ، كما أنه كان مولعًا بالشعر والشعراء ؛ فقد مدحه الشاعر علي بن جعفر ، أبو القاسم السعدي الصقلبي من كبار علماء صقلية[٣] ، ومدحه أيضًا القاضي الرشيد أحمد بن قاسم الصقلبي ، قاضي قضاة مصر دخل عليه يومًا وبين يديه دواة محلاة بمرجان ، فقال[٤] :

أُلين لداود الحديد كرامة ... فقدَّره في السرد كيف يريدُ
ولان لك المرجان وهو حجارةً ... على أنه صعب المرام شريدُ

ومدح أبو علي الأفضل ، الشاعرُ الشريف الزكي أَمينَ الدولة أَباجعفر محمد بن هبة الحسيني ، وكان أحد الأُدباء العارفين بالنسب ، ومن المجيدين والنحاة اللغويين .

واهتم الوزير الصالح طلائع بن رزيك بمجالس العلماء ، وأجزل لهم العطاء ، فجعل له مجلسًا في أكثر الليالي يحضُره أَهْلُ العِلْم والشعراء ، وكانوا يُدَوِّنون شعْره ، واتضح ذلك عند توليه الوزارة ، فذهب إليه الكثير من الشعراء والقضاة لتهنئته ، ومن هؤلاء أَبوعلي ، عبد الرحيم البَيْسَاني ،

(١) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، ص ٣٢ ؛ واتعاظ الحنفا ٣ : ٣٥٢ .
(٢) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (سنوات ٤٨١ – ٥١٧) ، ص ٢١٩ – ٢٢٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٦١٣ .
(٤) النجوم الزاهرة ، ٤ : ٨٧ .

والقاضي الأجل الرشيد أحمد بن الزبير ، والقاضي الجليل عبد العزيز بن الحسين بن الجَبَّاب ، والقاضي السعيد جلال الملك أبو الحسن علي بن الأشرف بن كَاسيبْويه ، وأبو محمد ، يحيى بن خير الشاعر المسمى ديك الكرْم[١] . كذلك قدم عليه الشاعر عمارة اليمني في عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م رسولاً من إمام الحرمين ، ومدحه بعدة قصائد منها[٢] :

لقد غمرنى من نداه مواهب أضافت إلى عز الغنى شرف القدر
قصدت الجناب الصالحي تفاؤلاً وقد فسدت حالي فأصلحني دهري

وكان الصالح طلائع شيعيًا ينتمي للإمامية متشددًا ، عمل على إذكاء الروح الشيعية ، وله أشعار كثيرة في مدح أهل البيت ؛ فقد ذُكِرَ عنه أنه كان في نصر المذهب كالسكَّة المُحْمَاة ، لا يُفري فِرْيَةً ولا يُباريَ عبقرية ، وكان يجمعُ العلماءَ من الطوائف ويُناظرهم على الإمامة ، كما أنه صنّف في الرفض والقدر فألف كتابًا أسماه (الاعتماد في الرّدّ علي أهْلِ العناد) يقرّر فيه قواعد الرّفْض ، ويعظم بني عُبَيد ، كذلك له قصيدَةٌ سَمّاها (الجَوْهَرِيّة في الرّد علي القَدَرِيّة)[٣] .

كذلك كان الوزير العادل رزيك بن الصالح من المهتمين بالشعر ، فكان يعشق النثر والكتابة الفنية ، ولذلك كانت مجالسه محفلًا للشعراء ، والأدباء ، والفقهاء[٤] .

العمارة : اتخذت طائفة الأرمن الحُسَيْنيّة[٥] مكانًا لإقامتهم ، وعَمّروها وشيدوا فيها كَنيسَة الزُّهْري[٦] ، وقد اتضح فيها مدى تأثير الفن الأرمني على المنشآت العمرانية التي شيدها الأرمن في العصر الفاطمي ، فشيد الوزير أمير الجيوش بدر الجمالي الجامع العتيق بإسنا في عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م ، وفرغ من بنائه عام ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م وعُرِف باسم الجامع العَمري أُسوة بجامع عمرو بن العاص ، وقد تَهَدَّم المسجد القديم ، وَجُدِدَ عدة مرات ، فتغيَّرت معالمه الأصلية ، ولم يبق منه سوى اللوحة التأسيسية التي ثبتت على يمين المحراب ؛ وهي عبارة عن لوح من الرخام مقاسه ٢٩×٥٨سم[٧] .

وفي عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م أنشأ بدر الجمالي بالإسكندرية جامع العَطّارين من أموال جمعها من أهل الإسكندرية ، وفرغ منه عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م ، وَعُرِفَ هذا الجامع بـ جامع العطارين ؛

(١) المنتقي من أخبار مصر ، ص ١٥٢ ؛ والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ٥ : ٣٦٠ .
(٢) النكت العصرية ، ص ٤٢ .
(٣) المواعظ والاعتبار ٤ : ١٧٠ ، ١٧٢ .
(٤) اتعاظ الحنفا ٣ : ٢٥٩ .
(٥) إحدى حارات القاهرة التي اختطت خارج باب الفتوح ، تنسب إلي قائد القواد الحُسَيْن بن جوْهَر الرومي الكاتب ، سكنها في أول الأمر طائفة عبيد الشراء ، إلي أن سكنها طائفة الأرمن في القرن السادس . المواعظ والاعتبار ٣ : ٥٩ .
(٦) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص ٤٤ ؛ والمنتقى من أخبار مصر ، ص١٢٥ .
(٧) تاريخ المساجد الأثرية ١ : ٦٤ ؛ ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون ٢ : ٢٧٣ .

لوقوعه قرب سوق العطارين ، كما عُرِف أيضًا بالجامع الجيوشي ، نسبة إلي أمير الجيوش بدر الجمالي[١] .

وفي العام ذاته شرع في تشييد سور القاهرة من الحجر المنحوت المصقول[٢] .

وفي عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م شيَّد بابُ زَويلَة الكبير ، وعلَّا أبراجه[٣] ، وشيَّد المشهد الجيوشي ، وعرف بـــ **مسجد زاوية الجيوشي** عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م في عهد الخليفة المستنصر بالله ، وتقع تلك الزاوية على قمة جبل المقطم في مواجهة قلعة صلاح الدين ، وهي بموقعها هذا تشرف على منطقة القرافة الصغرى بالإمام الشافعي ، والجزء المطل على النيل من مصر القديمة ، والمراعي الخضراء بمنطقة البساتين وقد دُوِّنَ تاريخ إنشاء هذا المشهد على لوحة من الرخام أعلى المدخل الرئيس[٤] .

وتتكون الكتابة عليها من خمسة أسطر ، جاء فيها : «مما أمر بعمارة هذا المشهد المبارك فتى مولانا وسيدنا الَإمام المستنصر بالله ، أَمير الجيوش سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين أدام قدرته ، وأعلى كلمته ، وكيَّد عدوَّه وحَسَدَتَه ابتغاء مرضاة الله في المحرم سنة ثمان وسبعين وأربع مئة»[٥] .

كما شيد الوزير الأفضل أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش ابن بدر الجمالي في عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م دار الملك بالقرب من الفسطاط ؛ ليتخذها مقراً لحكمه[٦] .

وشُيِّد جَامعُ الفيَلَة في عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م على سطح الجرف المطل على بركة الحبش ، وكان له شهرة كبيرة في العصر الفاطمي ، ولما أكمل بناء الجامع أَقام في خطبته الشريف الزكي أَمين الدولة أَبو جعفر ، محمد بن هبة الحسيني[٧] .

وشيد الأفضل أيضًا **مَسجد الرّصْد** في عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م بعد بنائه **جامع الفيلَة** ، وكان الغرض من تشييده رَصْدُ الكَواكِب بالآلَة التي يُقالُ لها ذات الحَلْق[٨] ، وشيد المئذنَة الكَبيرة بـ جامع عمرو بن العاص ؛ وشيد جامع الجيزة[٩] ، وشيد في وزارته مسجد الفراش بالقَرافَةِ الكبرى بَنَاهُ أحمد فَرّاش الَأفْضَل ابن أَمير الجُيُوش[١٠] .

(١) المنتقى من أخبار مصر ، ص ٤٦ – ٤٧ ؛ وسير أعلام النبلاء ١٩ : ٨٢ ؛ واتعاظ الحنفا ٢ : ٣٢١ .
(٢) المواعظ والاعتبار ٤ : ٥٩ .
(٣) أخبار مصر (الجزء الأربعون) ، ص ١٠٠ ؛ والمنتقى من أخبار مصر ، ص ٥ ؛ واتعاظ الحنفا ٢ : ٣٢٧ .
(٤) العمارة الفاطمية والأيوبية في مصر الإسلامية ، ص ١٨٩ .
(٥) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ٢ : ٢٨٤ .
(٦) المواعظ والاعتبار ٣ : ٣٧ .
(٧) وسمي بذلك لأن قبلته تسع قباب في أعْلاه ذات قَناطر أَي أن القباب مقامة على عقود ، إذا رآها الإنسانُ من بعيد شَبَّهَها بُمدَرَّعَيْن على فيَلَة كَالتي تُعْمَلُ في المواكِب أيّام الأعْياد وعليه السّرير ، وفوقها المُدَرّعون أيّام الخُلَفَاء . المواعظ والاعتبار ٤ : ١٤٦ – ١٤٧ .
(٨) المواعظ والاعتبار ٢ : ٨٥٤ .
(٩) المنتقى من أخبار مصر ، ص ٨٤ – ٨٥ .
(١٠) المواعظ والاعتبار ٤ : ٨٦٧ .

وفي إبَّان وزارة بهرام الأرمني بُنِيَت كنائس وأديرة عدة ، حتى صار كل رئيس من أهله يبني كنيسة له ، فخاف أهل مصر أن يغيروا ملة الإسلام .

وقد شهد عصر الصالح طلائع نهضة عمرانية كبيرة ؛ فقد اهتم بفنون العمارة ، ولعل خير شاهد على عظمة عصره مسجده الذي شيَّده عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م ، والذي أسماه باسمه جَامِعُ الصّالِحِ طَلائِع بن رُزّيك ، وشيَّده خارج باب زويلة ، وتميز بجمال مناظره ، وكان الغرض من إنشائه نقل رأس الحسين بن علي من عسقلان بسبب هجمات الفرنج عليها ، ولكن بعد الانتهاء من بنائه اعترض الخليفة العاضد على ذلك ، وأصر على أن تدفن رأس الحسين بن علي داخل القصور الزاهرة ، وبَنَي المَشْهَد الموجود الآن ودُفِنَت به ، وهو من المساجد الفاطمية الكبيرة والمميزة من الناحية العمرانية ، فقد شيَّده الصالح فوق صِهْريج ، وجَعَلَ عليه ساقيةً على الخَليج تملأ الصّهْريج زمن فيضان النّيل ، وصنع لها مجارٍ لتوصيل المياه ، وعيَّن له واعظًا من أَجِلَّةِ الوعاظ[١] .

وقد كتب على الواجهة الغربية وأول الواجهة البحرية النص التالي : «بسم الله الرحمن الرحيم ، أَمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة فتى مولانا ، وسيدنا الإمام عيسى أَبو القاسم الفائز بنصر الله ، أَمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأَبنائه الأَكرمين السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة ، وكاشف الغمة ، أَمير الجيوش سيف الإسلام ، غياث الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين أَبو الغارات طلائع الفائزي ، عضَّد الله به الدين ، وأَمتع بطول بقائه أَمير المؤمنين ، وأَدام قُدرته ، وأَعلى قدرته ، وأَعلى كلمته ، ونصر ألويته ، وفتح له وعلى يديه مشارق الأَرض ومغاربها ، بها في شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، والحمد لله وصلي الله على سيدنا محمد ، خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى أَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب أَفضل الوصيين وعلى ولديه الطاهرين : أَبي محمد الحسن ، وأَبي عبد الله الحسين ، وعلى الأَئمة من ذريتهم أَجمعين ، وسلم وشرف ، وكرم وعظم إلى يوم الدين ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ - رحمة الله وبركاته عليكم أَهل البيت ، إنه حميد مجيد»[٢] .

ومن المنشآت المدنية التي أنشأها الصالح قبل أن يتولَّى الوزارة في عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م الدارُ المعروفة بدار الصالح ، وكانت بحَارةُ الديْلَم[٣] .

(١) المواعظ والاعتبار ٤ : ١٦٦ - ١٦٧ .
(٢) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١ : ٤٠٧ .
(٣) المواعظ والاعتبار ٣ : ٣٢ .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً ـ المصادر :

* ابن أيبك الدَّوادارِى ، أبو بكر بن عبد الله بن أبيك (ت بعد ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) :

ـ كنز الدُّررَ وَجامعُ الغُررَ (الجزء السادس الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية) ، تحقيق : صلاح الدين المنجد . القاهرة : المعهد الألماني للآثار ، د . ط . ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م .

* ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) :

ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : مجموعة من العلماء ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ط١ . ١٣٤٨ - ١٣٩٠هـ/ ١٩٢٩ - ١٩٧٠م .

* ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) .

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس . بيروت : دار صادر ، د . ت .

* الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) :

ـ سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط و آخرون . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١١ . ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

* سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ، أبو المظفر يوسف قزأوغلي بن عبد الله البغدادي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) :

ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (سنوات ٤٨١ - ٥١٧هـ) ، تحقيق : مسفر بن سالم بن عريج الغامدي . مكة المكرمة : جامعة أم القرى (مركز إحياء التراث الإسلامي) ، د . ط . ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

* الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) :

ـ الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط ١ . ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

* ابن الصيرفي ، تاج الرياسة ، أبو القاسم ، علي بن منجب بن سليمان (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) :

ـ الإشارة لمن نال الوزارة ، تحقيق : عبد الله مخلص .القاهرة : مطبعة المعهد الفرنسي ، د . ط . ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م .

* ابن الطوير ، أبو محمد ، المرتضي عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) :

ـ نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، تحقيق : د . أيمن فؤاد سيد . القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية ، د . ط . ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م .

* ابن ظافر ، أبو الحسن ، جمال الدين علي بن ظافر الأزدي الخزرجي (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م) :

ـ أخبار الدول المنقطعة (دراسة وتحقيق للقسم الخاص بالفاطميين) ، تحقيق : أندريه فرّيه . القاهرة : مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، د . ط . ١٩٧٢م .

* ابن عساكر ، أبو القاسم ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) :

ـ تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي . بيروت : دار الفكر ، د . ط . ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

* عمارة اليمني ، نجم الدين ، أبو محمد عمارة بن أبي الحسن الحكمي (ت ٥٦٩هـ/ ١٢٧٠م) :

ـ النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، اعتنى بتصحيحه : هرتريغ درنبرع . القاهرة : مكتبة مدبولي ، ط ٢ . ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

* ابن القلانسي ، أبو يعلى ، حمزة بن أسد التميمي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠) :

ـ ذيل تاريخ دمشق ، القاهرة : مكتبة المتنبي ، د . ط . (د . ت) .

* القلقشندي ، شهاب الدين ، أبو العباس ، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) :

ـ صبح الأعشى ، القاهرة : طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩١٢ – ١٩٣٨م .

* ابن المأمون البطائحي ، جمال الملك ، أبو علي موسى (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) :

ـ نصوص من أخبار مصر ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد . القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، د . ط . ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

* المسبحي ، الأمير المختار عزالملك محمد بن عبيد الله بن أحمد (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) :

ـ أخبار مصر ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد .القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية ، ط١ . ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م .

* المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) :

ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال . القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط٢ . ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

ـ إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين الشيال . القاهرة : مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ط٣ . ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م .

ـ المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي . بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط١ . ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

ـ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد . لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ط١ . ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

* ابن مُيَسَّر ، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) :

ـ المنتقى من أخبار مصر ، انتقاه تقي الدين أحمد بن على المقريزي ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد . القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، د . ط . (د . ت) .

ثانيًا ـ المراجع :

* أيمن فؤاد سيد :

ـ الدولة الفاطمية في مصر ، تفسير جديد ، القاهرة : مكتبة الأسرة ، د . ط . ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

* حسن عبد الوهاب :

ـ تاريخ المساجد الأثرية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ط . ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

* سعاد ماهر :

ـ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، د . ط . (د . ت) .

* عارف تامر :

ـ تاريخ الإسماعيلية ، لندن : رياض الريس للكتب والنشر ، د . ط . ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

* عبد المنعم ماجد :

ـ نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، د . ط . ١٣٧٥هـ/ ١٩٩٥م .

* علي أحمد إبراهيم الطايش :

ـ العمارة الفاطمية والأيوبية في مصر الإسلامية ، القاهرة : المكتبة العالمية ، د . ط . ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م .

* هوري عزازيان :

ـ نبذة تاريخية موجزة عن الجاليات الأرمنية في البلاد العربية ، سوريا : دار الحوار ، ط١ . ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

رابعًا ـ المراجع الأجنبية :

- Abbas, Hamdani :-

- The Fatimids, 1962.

- W. Montgomery Watt:

-The Islamic World, London, 1974.